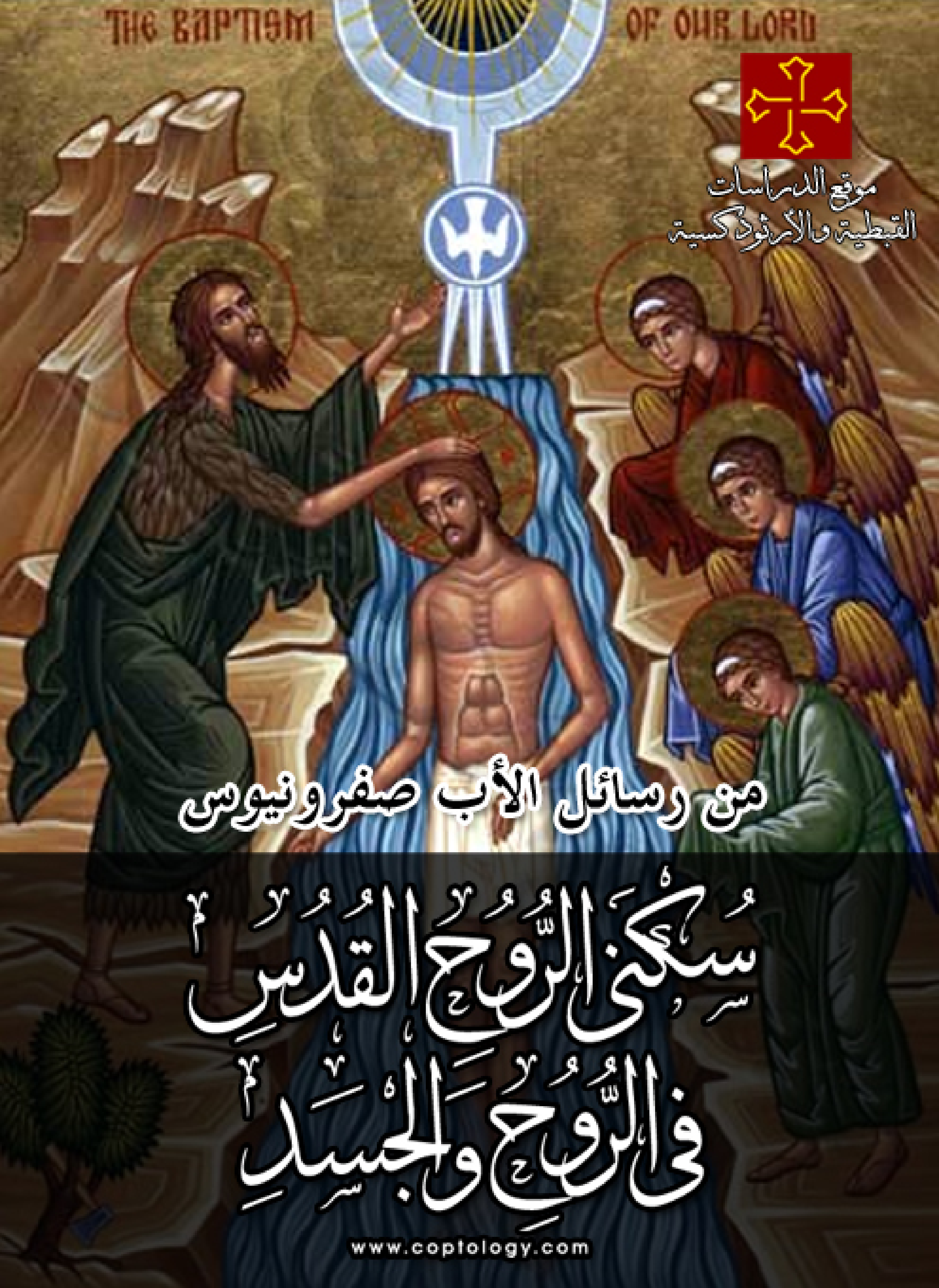

THE BAPTISM OF OUR LORD
موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
من رسائل الأب صفرونيوس
سُكنى الروح القدس
في الروح والجسد
www.coptology.com



سُكنى الرُّوحِ القُدُسِ فِى الرُّوحِ والجَسَدِ

من رسائل الأب صفرونيوس

٢٠١١

www.coptology.org

٢

سُكنى الروح القدس

في

الروح والجسد

صفرونيوس عبد ربنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي الذي بموته أعطانا حياةً، وبقيامته فتح لنا المسكن الأبدي في السموات. وأعطانا روح الآب المعزِّي ميناء النفس، لكي نكون أولاد الله.

سلام ومحبة لكم، وللأب صفنيا المدبر[١] الحكيم، فرحٌ أبديٌ وتعزيةٌ سماويةٌ.

هل يسكن الروح القدس في الجسد الإنساني القابل للموت؟

١- ما أجمل تلك اللحظة التي أتأمَّل فيها عودة جسدي إلى "تراب" الأرض، الأُم التي منها جاءت جميع الأجساد؛ لأننا نحيا برجاء أن نُزرع من جديدٍ بقوة الصليب والقيامة، وبنعمة الروح القدس الذي وُهِبَ لنا في الأسرار المقدسة التي نقبلها من الرب نفسه بالروح القدس الذي يقدِّس ويكمِّل كل خِدَم (الليتورجية) الكنيسة المقدسة.

٢- ما أعظم تواضع الروح القدس الذي يعطي الحياةَ للجسد، رغم أنه سيموت؛ لأن الروح القدس هو الروح الوديع الذي يمنح كل الأشياء هبة الحياة؛ لأنه "روح الحياة"، والرب المحيي. وهو يعطي بسخاءٍ عطية الحياة: يمسح الزهور والنباتات، ويحرِّك الهواء، ويعطي الدسم للتراب حتى يلد الزرع، ويقود الخليقة إلى الحياة معطياً

(١) حرفياً: هيغومينوس.

إياها – من فيضان نعمته – الوجود والحياة؛ لكي تُسبِّح كل الخليقة الرب الواهب الإحسان والحياة، وتشترك السماء مع الأرض في تمجيد الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

٣– يقول الرسول بولس إن الرب يسوع سوف يحفظ "وديعته إلى ذلك اليوم"، أي يوم الدينونة. **والوديعة يا أخي الكريم هي النفس والجسد**. النفس التي تنال الحياة الروحية مباشرةً من الروح القدس؛ لأنه هو "نسمة الحياة"، وهو ما أعلنه لنا الرب يسوع عندما نفخ في وجه التلاميذ بعد قيامته، وأعاد إليهم نسمة الحياة بحسب شهادة إنجيل يوحنا.

ولا توجد صعوبة إذا تذكَّرنا أن الروح القدس يتعامل مع النفس، أو الروح الإنسانية على المستوى الروحي غير المنظور من خلال قدراته الإلهية التي يحرِّك بها الروح الإنسانية نحو القداسة والمحبة وحرية مجد أولاد الله.

لكن عندما نتحدَّث عن الجسد، فإننا نجد صعوبة كاملة لعدة أسباب واضحة، وهي أننا:

أولاً: نحن لا نقدر أن نتكلم عن الروح القدس بشكلٍ منظور، بينما الجسد منظور ومحسوس ومحدود. ولكن هذه المشكلة تصبح سهلةً، إذاً تذكَّرنا أن الجسد الإنساني هو الجانب المنظور والوجه الظاهر للروح الإنسانية، وإن كل حركات الجسد وحياته، إنما هي نابعةٌ من الروح الإنسانية التي تأخذ حياتها من روح الله، أي الروح القدس.

عندما أكتب لكم، فإنني أُحرِّك يديَّ، ويديَّ تحركها الإرادة، والإرادة من الروح. والكلمات منظورة، ولكن معاني الكلمات غير منظورة، وإن كانت معروفة لي ولك.

ثانياً: يمسح الروحُ القدسُ الروحَ الإنسانيةَ، وينقل من روح الإنسان إلى جسده قوة وَهِبات الابن الوحيد؛ لأن الإنسانَ القابلَ للموت والانحلال والعودة إلى

تراب الأرض، يأكل جسد الرب ويشرب دمه لكي يحيا ويقوم في اليوم الأخير حسب مواعيد الرب التامة والصادقة في الإصحاح السادس من إنجيل معلمنا يوحنا الإنجيلي.

هكذا، نتذوَّق الحياة الإلهية، بينما نكون "جالسين في كورة الموت وظلاله"؛ لأن نور مجد الرب يسوع أشرق علينا إلى أن يحين يوم الانعتاق من "جسد الموت"، أي الجسد الذي لم ينل بعدُ، القيامةَ.

٤- وإذا وصلنا إلى هذه النقطة، أصبح من الضروري لنا أن نسأل أنفسنا: كيف يسكن الروح القدس في الجسد؟ وهنا أضع أمام محبتك هذه الأمور الضرورية:

أ- الجسد ليس كمَّاً ولا حجماً، وإنما الخطية والشر هما اللذان حوَّلا الجسد إلى "كم وحجم ولون ونوع وطول وعرض ...". الجسدُ عطيةٌ من الله الآب، وقد صار عطيةً أبديةً بسبب تجسُّد الابن وقيامته من الأموات بذات الجسد الذي أخذه من والدة الإله القديسة مريم.

ب- الجسد هو وجه الروح الإنسانية، ولذلك علينا أن نراه ونحسه روحياً، لا أن نقيِّمه حسب الأهواء والشهوات؛ لأن قانون الشهوة هو الحجم، وغاية كل الأهواء هي الامتلاك، وهذا يجعل كل ما هو منظور، يُقاس بالوزن والطول والعرض والمساحة واللون، وبكل الأمور أو القياسات التي تساعدنا على الامتلاك والتسلط والسيادة؛ لأن مقاييس الخطية ليست مثل مقاييس القداسة.

وطبعاً سوف تسألني عن الفرق. والرب يسوع يعطي لنا أن نميِّز بين الإثنين؛ لأن من مقاييس الخطية استخدام ما هو أكبر في تحديد الفائدة. وما هو أكبر يُقاس بالحجم قبل النوع؛ لأن الرغيف الأكبر مغري، رغم أن فائدته قد تكون سيئة بسبب نوع الدقيق الذي استُخدِم في خَبزه. ومن مقاييس الخطية أن الأصغر حقيرٌ، ولذلك قال الرب يسوع لنا أن لا نحتقر الصغار؛ لأنهم حسب مقاييس القوة، ضعفاء، ولكن حسب مقاييس القداسة، هم مثلنا تماماً وشركاء لنا في كل شيء.

وبسبب مقاييس الخطية وسيادتها على فكر الرجال، قال الرسول عن النساء إنهن "وارثات معنا نعمة الحياة الأبدية"، وطلب أن نحبهن كما يحب الرب الكنيسة – وأنا لم أر هذا في حياتي بالمرة، وهو سبب حزن كبير ومصيبة أصابتنا نحن الرجال – الرب يسوع يخلصنا.

ولأن الجسد هو وجه الروح الإنسانية، أصبح من واجباتنا أن نحسه روحياً من خلال هبة التقديس في الروح القدس، أي أن لا نختار أعضاء معينة من الجسد ونفضِّلُها على غيرها، وأن لا نحب العيون ونكره الشَّعر، أو نحس جمال اليدين ونكره القدمين .. هذه تصرفات نابعة من الخطية ومن الشهوة، وليست من القداسة.

لكن عندما يقدِّس الروح القدس قلبَ إنسانٍ، فإنه يرى في الجسد هيكل الله، ويرى فيه قدس الأقداس، والمذبح، والدار الخارجية، والمرحضة، ومذبح البخور. وكل رموز خيمة الاجتماع، يجب أن نحولها في المسيح يسوع إلى الجسد الإنساني؛ لأن تجسد الرب يسوع جعل الجسد هيكل اللاهوت.

ج- والجسد هو مكان الروح الإنسانية في العالم، أي في هذه الدنيا، وهو لذلك مكان إعلانات الثالوث القدوس؛ لأن الرب يسوع قال عن الذين يحبونه: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً". وبذلك علَّمنا أن منزل الثالوث هو الإنسان، وأن الإنسان هنا هو الجسد والروح؛ لأن الإنسان بلا جسد ليس من سكان وأهل هذا العالم.

فإذا كان الجسد هو مكان حضور الله في العالم، أصبح من الواجبات الأساسية أن نقدِّس هذا الهيكل؛ لأنه هو الهيكل الوحيد الذي يظهر منه نور الروح القدس، والذي من خلاله يعمل الروح القدس في وسط الجماعة؛ لأن الروح القدس كان يمسح الملوك والقضاة والأنبياء بشكلٍ منظورٍ أحياناً كما حدث في العهد القديم، وكما حدث يوم العنصرة عندما حلَّ بألسنة نارية على التلاميذ. وبواسطة المسحة كانت الأعمال الإلهية تتم بواسطة أيدي الرسل، وبما ينطق به الفم من كلمات البشارة، ولمسات الشفاء، والدهن بالزيت المقدس، وانتهار الأرواح الشريرة، بل كانت المناديل والعصائب التي توضع على جسد بولس رسول الرب يسوع المسيح

تطرد الأرواح الشريرة وتشفي المرضى؛ لأن الملابس والمنقولات التي نستخدمها تشترك مع الروح الإنسانية في نوال نعمة التقديس؛ لأن الروح القدس يقدِّس ما هو منظـــور ومادي معلناً فيه مجد الثالوث القدوس.

٥- عندما تجسد الرب من البتول والدة الإله أعطى للجسد الإنساني مكانـــةً فريدةً لم تكن له قبل تجسد الإبن:

أولاً: لأن كل إعلانات الخلاص تمَّت في جسد الرب، أي التواضـــع الإلهـــي الذي قبله عندما أخذ شكل العبد.

ثانياً: المحبة الفائقة الباذلة، إذ قدَّم جسده للموت على الصليب المكرَّم، وفيـــه أباد الموت وكسر شوكة الموت بموته بالجسد، وعندما قام حياً أعلن لنـــا الخلـــود في السماء.

هكذا – أيها الأحباء – صار جسد الرب مكان الإعلان الإلهي عن الخلاص لأنه فيه "حلَّ كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩).

٦- لقد مسح روح الآب - الابنَ المتجسد، فصار "المسيح" - مسحةً روحيةً غير منظورةٍ؛ لكي يقدِّم الابنُ جسده على الصليب بقوة الـــروح الأزلي، أي بـــالروح القدس حسب كلمات الرسول (عب ٩: ١٣)، وبذلك وحَّد عمل الروح القدس بخدمـــة الكهنوت؛ لأنه رئيس الكهنة، وجعل من الصليب قوة حياة تبيد الموت، وبه رفع لعنة الناموس (غلا ٣: ١٣).

وعندما قدَّم الربُ جسده بالروح القدس، جعل الروح الشريك المســـاوي في خدمة الخلاص، ووحَّد بذلك قوة الحياة الإلهية لأقنوم الروح القدس بالصليب، وهو ما يجعلنا نرشم الصليب في كل صلواتنا؛ لأنه ختم الثالوث القدوس الـــذي بـــه نقـــدِّس ونكمِّل خدمة الأسرار.

٧ – وعندما قام الرب يسوع بقوته الإلهية، وحَّد عمل الروح القدس بالقيامة معلناً أنه أُقيم بالروح القدس (رو ٨: ١١)، فصارت قيامتنا نحن، ليست فقط بسبب قيامة

الرب، ولكن بسبب وحدة خدمة الخلاص الإلهي؛ لأن الروح أخذ قوة القيامة، أي قوة ربنا يسوع المسيح لكي يعطينا إياها ميراثاً، ولكي يحيي الأجساد حسب تدبير ربنا يسوع المسيح، فتنال مجد القيامة في اليوم الأخير.

هكذا صار طقس تقديم جسد الرب، لا سيما في سر الأسرار، سر الشكر الإلهي بنعمة الروح القدس، وصار الذبح قوة تقديس تغلب الموت وتُنقل إلينا حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية في صلواتنا، لا سيما أوشية القرابين التي تقال عن المعمَّدين في خدمة سر المعمودية المقدسة؛ لأننا نطلب أن يصبح المعمَّدين باسم الثالوث القدوس ذبائح روحية، وهو ما يؤكده الرسول بولس سائلاً إيانا أن نقدِّم أجسادنا ذبائح روحية لله الآب في العبادة الروحية بالروح والحق.

٨ – كيف إذن نميِّز سُكنى الروح القدس في الجسد؟ وكما قلت سابقاً إن الروح القدس يسكن في الروح الإنسانية، ومنها وفيها يسكن في الجسد بسبب عدم إنقسام الإنسان الى روح وجسد. وهكذا أيها الأحباء، إذا نظرنا إلى سُكنى الروح القدس في الروح الإنسانية وجدنا ما يلي:

أ- يسكن الروح في الإدراك عندما يفتح عين الروح الإنسانية لكي ترى الحق.

ب- يسكن الروح القدس في القلب في جمرة محبة الرب يسوع والالتصاق به وعدم التخلي عنه ولو كانت حياتنا معرضةً لخطر الموت.

ج- يسكن الروح القدس في الإرادة عندما يحركنا للصلاة وجحد الذات من أجل محبة يسوع وبرجاءٍ حيٍ في حياة المجد.

فإذا كانت سُكنى الروح القدس في الداخل في الفكر والقلب والإرادة، فكيف يمتد هذا إلى الجسد؟ والجواب هو أن الجسد وجه الروح المنظور، وكل حركاته نابعة من قوة الحياة التي يحصل عليها بسبب وحدته بالروح الإنسانية. لكن يمكن أن نلمس روحياً كيف يسكن الروح القدس في أعضاء الجسد كلها، وذلك عندما نحس

بالانتعاش والفرح، ونجد أنفسنا غير مبالين بالجوع والتعب وعدم النوم فرحاً بحلول وشركة الروح القدس. وأيضاً عندما تدعونا خدمة الأخوة أن نثابر على العمل رغم ضعفنا الجسدي، ونجد قوةً إضافيةً قد أُعطيت لنا تجعلنا أحياناً نندهش من قدرتنا على القيام بأعمال غير عادية من أجل محبتنا للرب. وقد جرَّب الآباء الانقطاعَ عن الطعام، وقول الكتاب المقدس: "النفس الشبعانة تدوس العسل"، هو اختبارنا في البرية عندما نصوم بفرح، وتمر أيامٌ بلا طعام وبلا ماء وبلا نوم، والجسد في سلام وراحة. هذه هي من علامات سُكنى الروح القدس في الجسد.

٩ – لا يجب أن ننسب تعب الجسد وعدم النوم والمرض إلى أن الروح القدس قد ترك سُكناه فينا؛ لأن التعب والمرض يلازم ضعف الإنسان، ولذلك قال الرب لمعلمنا بولس: "قوتي في الضعف تكمَّل" (٢ كور ١٢: ٩)، وعندما ضَرَبَت الأرواح النجسة معلمنا الأنبا أنطونيوس، أعطاه الروح القدس الإحتمال، ولذلك لم يمُت رغم ضربات الشيطان.

١٠- الأخوة الأحباء الكاملين في روح الكمال والمجد، في يسوع مجد الآب، أقول لكل واحد فيكم: لا تنكر ولا تطرح عطايا الله لك بسبب خطاياك، ولكن اعلم وتيقن أن عطايا الله هي للخطاة؛ لأنه يريد أن يحفظهم في ابنه ربنا يسوع المسيح حسب دعوته السمائية، لذلك إذا كان ضميرك وقلبك يحدِّثك بأمورٍ غير مواعيد الله، فهذا الحديث إمَّا من الطبيعة القديمة، وإمَّا من الشيطان. وطبعاً الطبيعة القديمة ليست طبيعة قائمة ولها وجود بعد المعمودية، وإنما هي الذاكرة والمخيِّلة والخبرات القديمة التي استقرت في داخلنا، تعاودنا من وقتٍ لآخر؛ لأننا لا نزال نعيش في الكون الذي نال عربون الفداء في يسوع المسيح ربنا ولم يكمُل بعد؛ لأن "الخليقة تئن وتتوجع"، ولا زالت في مخاض التجديد.

أنتم كاملين في الله، ولكنكم ناقصون وخطاة بدونه.

أنتم ممجدون في المسيح، ولكنكم هالكون بدونه.

أنتم أبناء الله بالنعمة، ولكنكم عبيدٌ بالطبيعة.

ها أنا أقف على الباب وأقرع – يقول ربنا له المجد – لكي يؤكد لنا صدق وعدم تراجع محبته، وعدم ندمه على ما أعطانا إياه. ثق أنك في مراحم الله ثابتٌ؛ لأن الرسول يقول إن عطايا الله ونعمته "بلا ندامه".

وماذا أقول لكم وأنا مثلكم مثقَّلٌ بالجسد، وأظن – بسبب الجهل الروحي – أن الجسد هو مصدر الخطية، وأن أعضاء الجسد هي التي تحاربني. ولكن – حسب التعليم الإلهي الثابت – أعضاء الجسد لا تعمل بدون الإرادة، والإرادة لا تتحرك بدون الفكر، والفكر لا نقبله إلاّ بحرية الاختيار.

هذه هي سلسلة الحركة الإنسانية الحرة غير المقيَّدة، ولكنها أحياناً تكون مقيَّدةً بشوقٍ دفينٍ نجهله، وبرغبةٍ مستترةٍ لا نعرفها؛ لأن قلب الإنسان هو وعاء كبير يتسع لسُكنى العالمِ كله، أو سُكنى الثالوث. ونحن هنا لا نذكر الحجم، وإنما نتحدث عن النوع؛ لأن أصغر قطعة من الذهب هي ذهب من نفس نوع المعدن، الذي مهما كان حجمه تظل قيمة وثمن المعدن فيه واحدة، والنوع ثابت ليس حسب الحجم، ولكن حسب القيمة.

هكذا في الملكوت، لا يوجد صغير وكبير حسب الحجم؛ ولكن الأعظم هو الخادم، والأكبر هو الذي يعطي، والأكبر هنا هو الثالوث القدوس العظيم والقادر على العطاء وعلى حفظ ما يُعطي.

١١– تبدأ الحرب الروحية برغبةٍ مستترةٍ، تجول في القلب أحياناً خفيَّةً لا يلاحظها الإنسان حتى يجدها أمامه وفي قلبه بقوةٍ، يظن أنها آتيةٌ من الجسد، أو من مصدرٍ آخر غيره. هذا خطأ. كل نوايا الإنسان نابعةٌ منه، وأمَّا تلك التي يضعها الشيطان في داخلنا، فهي تبدأ بشكل عقلي، صورة عقلية، أو صورة مادية نراها، وتولد منها رغبةٌ أو فكرةٌ، وتظل كذلك حتى تدخل مجال الإرادة، وهو ما يسميه الرسول يعقوب: "حَبَلُ الشهوة" الذي يسبق "ولادة الخطية". وبسبب وحدة الجسد بالروح الإنسانية ينقل الفكرُ الرغبةَ، أو تنقل الرغبةُ الفكرَ إلى الإرادة، وأول ما يحدث في داخلنا هو سرعة البحث عن تنفيذ الرغبة، وأول ما يمر في عقولنا هو أعضاء

الجسد. هذه السرعة تحركها رغباتٌ مستترةٌ، قال عنها المزمور: "مِن الخطايا الخفية يارب طهِّرني"، وهي لذلك تتحرك حسب حرارة العواطف وشدَّتها.

استيقظ – يا محبوب – لأن الرب قال عن الشيطان الذي يزرع الزوان: "وفيما الناس نيام"، فهو يحب بشكل خاص النائمين والكسالى الذين تخلوا عن حكمة الروح القدس.

١٢- لا تحكم على الجسد بأنه شريرٌ؛ لأن الله لم يخلق الشر ولم يخلق الشيطان، وإنما الذي خلق الشيطان هو الشيطان الذي كان أصلاً من رُتَب الشاروبيم ولكنه أحب السقوط، وسمع النبي اشعياء كلامه: "أرفع كرسيَّ فوق كواكب الدهور. أصير مثل الله العلي". لا يجب أن تغيب هذه الحقيقة عنك. لا يوجد شيءٌ – بالطبيعة التي خلقها الله له – شريرٌ. حسب الطبائع وحسب التدبير الإلهي كلُ شيءٍ طاهرٍ ومقدسٍ، ولكن بسبب السقوط والشَّر، أخذت كل الأشياء صورةً واستعمالاً "غير الاستعمال الطبيعي"، ودخلت فكر البشر بصورةٍ أخرى غير تلك التي خلقها الله، وهو ما يجعل الرسول يقول لنا: "تغيروا عن صورتكم بتجديد أذهانكم"؛ لأن "تجديد الذهن" هو اكتشاف الطبيعة الأصلية التي خلقها الله. ونحن أيضاً رغم أن أعمالنا تصبح طبيعةً لنا، أي طبيعة ثانية، إلاَّ أننا بالتوبة وبعمل الروح القدس نعود الى الطبيعة الأصلية، وهي صورة الله فينا لكي تنال قوة مواعيد الرب، إذ نصير "مثله" في ذات البهاء والمجد على جبل التجلي، جبل طابور.

١٣- أعود وأكرر من أجل المنفعة، يسكن الروح القدس في الروح الإنسانية، وفي الجسد بسبب وحدة الإنسان، وهي الوحدة التي سوف تُبعث كاملةً في يوم القيامة، ولذلك نحن ننال عربون هذه الحياة هنا.

ويحرك الروح القدس الجسدَ في ثلاثة اتجاهات متناغمة:

أولاً: ما ندركه ونحسَّهُ بعد السقوط من دهشةٍ واستغرابٍ مصدره هو براءة الجسد وعدم اشتراكه في الأفكار السمجة، وهذا يأتي من الروح القدس؛ لأن الروح القدس هو رب الجسد ومعطيه الحياة، ولذلك يُعيد لنا الروح القدس هذا الشعور حتى

نُسرع بالتوبة ونترك خطايانا.

ثانياً: يحرك الروح القدس الجسد كله، أو بعض أعضـائه حركـةً داخليـةً، وبصورةٍ حسيةٍ أحياناً، أو بصورةٍ سمائيةٍ، وعموماً في شكلٍ منظورٍ للعقل مثل صـور القديسين في الأيقونات أو رائحة البخور، وأحياناً عبارات من الكتـب المقدسـة، أو صورة عقلية لإنسان نحبه ونحترمه .. وكل ذلك لكي يثبِّت الروحُ الإنسـانَ المجـرَّب بالخطية في وحدة الكيان الإنساني غير المنقسم إلى جسد وروح.

هنا يعمل الروح القدس من الجسد أو بالجسد لكي يصل الى القلب. والجسد هنا هو مركز العالم المنظور المتشعِّب والذي يمتد الى أعماق وجدان الإنسـان وقلبـه بسبب اعتماد الجسد على الكون وعلى الماء والهواء والحرارة والتراب وكل الخليقـة، حتى أن الروح القدس رب الكون وواهب الجمال والمجد للخليقة، يحـرِّك الكائنـات حولنا ويعطي لها مسحةً روحيةً تدخل أعماق الـنفس وتجلـب الراحـة والسـكينة والسلام.

ثالثاً: عندما نصلي ونقول: "أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق الحاضر في كل مكان كنز الخيرات"، فإننا نضع أنفسنا – روحاً وجسداً – في وحدةٍ كاملةٍ مـع العالم المنظور وغير المنظور الذي يمسحه الروح القدس بمسحة الوجود والحياة والحركة مقدِّماً إياه للابن الوحيد الكلمة الخالق لكي يقرِّبه للآب حسب تدبير الليتورجية.

نحن نشترك جسدياً وروحياً في تقديم الكون لله في خدمة ربنا يسوع المسيح. وقد علَّمنا أبينا الأنبا أنطونيوس أن الروح القدس يقدِّس أعضـاء الجسـد ويمسـحها بمسحةٍ إلهيةٍ نابعةٍ من داخل القلب، مشرِقة بالخدمة وبالإحسان.

فالروح القدس يُعلِّم النفس والجسد معاً أن تقف علـى القـدمين (وضـع القيامة)؛ لأننا قياميون. والوقوف هو انتباهٌ ويقظةٌ: "قوموا يا بني النور ..".

والركوعُ تسليمٌ يتم بواسطة الجسد، لكنه نابعٌ من الروح الإنسانية، ويعـزِّي القوات السمائية.

والانطراح التام على الأرض هو قبول الموت بالإرادة من أجل يسوع المصلوب بإرادته دائماً معنا وفينا حتى تكمُل فينا قوة قيامته.

١٤- لا يتحرك الجسد، ولا أصغر عضو فيه بدون الإرادة وبدون نية أو قرار، لكن أحياناً بسبب الإنقسام الذي جاء مع الخطية، نظن خطأً أن الجسد له إرادة خاصة به، وهو ما أشار إليه الرسول بولس في عبارته المشهورة: "ناموساً يحارب ذهني"، وفي عبارة أخرى: "جسد هذا الموت"؛ لأن القلب عندما يحبل بالشهوة ويتحرك في اتجاهها، يظن أنها هدفاً بعيداً خارجياً، بينما الشهوة هي في القلب وليست خارج القلب، ولكن عندما خلقنا الله على صورته ومثاله، فقد أعطى الإنسان – بهذه النعمة الإلهية – أساس شركته مع الآخرين من البشر، ولذلك صارت كل نوايانا وأفكارنا تحتوي الآخر بشكل خارجي.

تأمَّل هذه الحقيقة، عندما نفكر داخلياً، فإننا نسمع أنفسنا. وعندما نسمع الآخرين، فإننا نفكر، وأحياناً تتلامس أفكارهم مع أفكارنا؛ لأننا لم نُخلق للعزلة، بل للشركة. وإذا درسنا جيداً السلوك الجسداني وحده، بدون الفكر والإرادة، تعذَّر علينا أن نفهمه. ولما دخلت الخطية حياة الإنسان، جاء معها الإنفصال عن الآخرين بسبب الأنانية، وتحولت قاعدة الشركة، أي هبة وعطية صورة الله إلى نزعة غريبة، فأصبحت تطلب الشركة والأنانية والعزلة في نفس الوقت؛ لأن الشهوة تعمي عيني الإنسان، فلا يرى حاجته إلى الآخر لكي تكمُل الشركة به ويكون الفرح كاملاً، لذلك السبب جاء الرب وتجسَّد لكي يشاركنا أولاً وجودنا الإنساني، ويزرع الشركة الجديدة الأبدية. ثم شاركنا الموت الجسداني الذي هو الداء الخفي محرك مصدر الخطية، ولم يشاركنا الموت الروحي؛ لأنه لم يمت روحياً، بل جسدياً، وعانت نفسه الإنسانية الموت، ونزل إلى الجحيم حياً بقوة اللاهوت، وبسبب اتحاده بقوة "الحياة التي لا تزول"، فقد "ذاق الموت بالجسد"، وكما قال الرسول بطرس: "مماتاً في الجسد ولكن محييً في الروح" (١ بط ٣: ١٨)، ولأنه غير قابل للموت كإله، قيل إنه "تألم مرةً واحدةً من أجل الخطايا" (١ بط ٣: ١٨). وهو ألم القوي والقادر الذي وجد نفسه في حفرة الموت معنا أي الجحيم. وقام من الأموات؛ لكي بقيامته يعطي الحياة الجديدة الغالبة الموت، ويجعل شركتنا

أبدية فيه، ويزرع فينا بذرة الحياة التي لا تموت.

١٥- أمَّا بخصوص سؤال محبتكم: هل يفارق الروح القدس النفس والجسد عندما نخطئ؟ لقد تعثَّر بعض الأخوة بسبب عبارة المزمور: "روحك القدوس لا تنزعه مني"، وبسبب أن صلواتنا تطلب دائماً حضور الروح القدس، لا سيما صلاة الساعة الثالثة؛ لأن عبارات هذه الصلوات مملوءة بالحكمة الإلهية، ونحن نطلب بإلحاحٍ ونترجَّى حلول الروح القدس فينا كل يوم حسب ترتيب (طقس) الكنيسة المقدسة.

والحقيقة التي لا تغيب عنّا ولا يجب أن ننساها هي أننا نسأل حضور وحلول الروح القدس لكي نأتي نحن إليه، لا لكي يأتي هو إلينا، فهو قد جاء إلينا يوم العنصرة، وهو لا يفارقنا، وإنما نحن الذين نريد من آنٍ لآخر أن نتركه. هو أمين وصالح ومحب للبشر، وقد تواضع لكي يسكن فينا، أمَّا نحن، فإننا نتحرك دائماً؛ لأننا خُلقنا من العدم، وليس الثبات من طبعنا بالمرة.

هذا ما يجعلنا ننادي الروح القدس ونطلبه، لكي - بالطلبة - نصحو من الغفلة ومن النوم ومن التواني، ولكي - بالطلبة - يستيقظ القلب ويعود إلى نشاطه وحركته الحرة. وعندما نقول وننادي الآب ألاَّ ينزع روحه القدوس، بل أن يجدده في داخلنا، فإننا نلتزم بالطلبة ونثبت فيها لكي ننال ما نطلب.

هنا أريد أن أؤكِّد لمحبتكم أن سُكنى الروح القدس فينا بسبب نعمة العهد الجديد ليست مثل سُكنى الروح القدس في أنبياء العهد القديم، ولا هي نفس العطية، بل هي عطية أخرى أكبر، نالت ثباتها وبقائها من خدمة رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح نفسه الذي قَبِلَ الروح القدس عندما تجسد وحبلت به والدة الإله؛ لكي يؤسِّس - بتجسده من الروح القدس والقديسة مريم - الأساس الأبدي للولادة الجديدة، ويُعيد إلينا شركتنا مع الروح القدس الذي كوَّن بداية آدم الجديد والأخير الرب يسوع المسيح "الإنسان الذي من السماء" (١كو ١٥: ٤٧) الذي أخذ كيانه الإنساني من السماء من فوق، من روح الحياة؛ لكي يغلب به الموت وفساد الموت.

وعندما اعتمد في الأردن، نقل الرب يسوع هبة الروح القدس من هبة حياة إلى هبة المواهب، أي الخدمة والبشارة، وطرد الأرواح النجسة والشفاء وغفران الخطايا وقيامة الموتى. فقد حمل هو في كيانه – كآدم الجديد – هذه العطايا، ولم يكتف بعطية الحياة التي أخذها في ميلاده، بل أضاف إليها عطايا مسحته الإلهية؛ لأنه صار "المسيح" الذي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة حسب مسحته، وفيه كل كنوز الحياة حسب اقنومه الإلهي الفائق. وعندما يقول الرسول إن الرب يسوع صار ضامناً لعهد أفضل، فإنه يؤكد لنا بقاء عطاياه إلى الأبد حسب وعده الإلهي: "أنا أطلب من الآب فيعطي لكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله .. وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٥ – ١٧).

وقد أكَّد الرب يسوع بعد ذلك أن شركتنا في المسيح ثابتة بالروح القدس بقوله: "وأمَّا المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكِّركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤: ٢٦). وقال الرب بعد ذلك: "أنا الكرمة وأبي الكرَّام. اثبتوا فيَّ وأنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ. لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يوحنا ١٥: ١ – ٥).

ومن كلمات الرب يسوع المسيح ندرك أن "الوجود الخاص"، أي وجودنا الجسداني في هذه الحياة قد انتهى؛ لأن الرب يسوع يؤكِّد لنا أن وجودنا بدونه أو بعيداً عنه لا يثمر حياةً، بل موتاً. لقد التصق الموت بالجسد بشكل ظاهر؛ لأن وجودنا الجسداني ضعيفٌ، وهذا ما أكَّده الرسول بولس (رو ٨: ٣)، وهكذا جاء ابن الله "في شبه جسد الخطية"، أي الوجود الخاص الذي يقودنا نحو الإنفراد بالشريعة، أي عندما يصبح كل منّا هو شريعة الخير والشر، يقررها كل واحد منّا حسب أهواء القلب. ولذلك لم يحيا الرب حياته على الأرض بشكل مستقل عن التلاميذ وعن الخطاة.

فقد كان يحمل في جسده الحضور والوجود الإلهي الكامل للآب والروح القدس؛ لأنه هو الابن المتجسد والواحد مع الآب والروح القدس. وعاش مع الخطاة،

وأكل مع المنافقين والزناة، وأعلن في جسده المحبة الالهية بالموت على الصليب علناً، وأعطى جسده في العُلِّية للذين أحبهم وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وبذلك أنهى الوجود الخاص الذي يفصل الخبز عن جسده، إذ صار جسده "خبز الله النازل من فوق الواهب الحياة للعالم" (يوحنا ٦: ٣٣)، فقد أشار إلى جسده والخبز معاً في آنٍ واحد: "هذا هو جسدي"، مؤكِّداً أنه طعام الحياة الأبدية.

وهو يطلب منّا أن يحمل كل واحد منّا صليبه، وأن يتبع الرب. هكذا ينادينا المسيح أن نضع نهايةً للوجود الإنساني الخاص الذي هو قاعدة الخطية، وأن ننال في المسيح الوجود الجديد أي الوجود المميَّز بالنعمة، والوجود الذي يُستمد من الشركة في جسده الكنيسة، وهو الوجود الذي نتعلم فيه وبه كيف نحيا معاً حياةً جديدةً ليس فيها نزوع نحو القوة والسيادة الذي نمارسه حسب أهواء الخطية باستعمال خاطئ للمال والمقتنيات والقدرات العقلية والجسدانية مثل الحكمة والجمال التي اعطيت لنا لكي نشترك بها في خيرات الروح القدس ونعمة الرب يسوع، وهو ما يجعل الرب يضع القانون الأول للتلمذة له: "ينكر نفسه ويحمل صليبه"؛ لأنه بدون جحد الذات، لا نملك أن نحيا حياة الشركة؛ لأن الذات تُعاد إلينا جديدةً عندما نحيا حياة الشركة، بينما تبقى في عزلة الخطية إذا لم تحيا حياة الشركة؛ لذلك علينا أن نراقب أنفسنا لنرى ما هي الأمور التي تجعلنا نميِّز ونفضِّل أنفسنا على الآخرين، لا سيما في المَتَاع والمقتنيات والطعام والملابس والمال، بل وحتى القيادة وتوجيه الآخرين.

أمَّا عن الخلافات والجدل الذي ينشأ فيما بيننا، فإننا نرى بكل وضوح الأنانية والتمسك بالرأي ليس من أجل حفظ الوصية الأولى أي المحبة، بل من أجل تأكيد سيادتنا على الآخرين، ومَن يفرض رأيه بالقوة أو بالإغراء، هو مَن لم يميِّز نفسه كعضو في جسد الرب، بل مَن يظن أن كيانه ووجوده الخاص حسب الجسد هو الوجود السامي الفائق الذي يعلو على كل وجود آخر.

وحتى الرب يسوع نفسه، فقد قَبِل أن يُصلب بين لصين، مؤكِّداً بذلك أن وجوده هو بين الخطاة وفاعلي الشر؛ لأنه المخلِّص والفادي الذي يُظهر بره وقداسته

بين الخطاة. وما أعجب هذا التدبير، فقد دُعي اسمه "يسوع"، أي يهـوه المخلـص، ولذلك مات بين فاعلي الشر، وخلَّص واحداً منهما وجاء به إلى الفردوس.

ولذلك يقول الرسول: "آسرين كل فكر يعلو على طاعتنا للمسيح" (راجـع ٢ كور ١٠: ٥). ونحن بالفكر، نسقط في بئر وجودٍ خاصٍ ندَّعيه لأنفسنا، وبالفكر نعـود إلى طاعة الرب، وعن هذا قال الرسول: "تغيَّروا عن صورتكم بتجديد ذهنكم" (راجـع رو ١٢: ٢).

لقد وضع تجسد الابن نهايةً للوجود الإنساني المنفرد، وجعل وجودنا في شركة جسده الكنيسة وجوداً دائماً أبدياً. فبعد تجسد الرب صار كل إنسـان مـدعواً لأن يصبح مثل "ابن الإنسان"، الإنسان الجديد، آدم الأخير، أو الثاني، أو الجديد الذي من خلال الشركة في الطبيعة الإلهية يتجلى جسده بكل مجد المسيح في هذا الدهر بواسطة مواهب وعطايا الروح القدس، وفي الدهر الآتي بتجلي الرب نفسه؛ لأننا سنراه ونصبح مثله (١ يوحنا ٣: ٢).

١٦- هل يحل فينا الروح القدس بشكل دائم حتى في الوقت الذي ننشغل فيه بأمور جسدانية مثل النوم؟ يقول الحكمة: "روح الرب ملأ المسـكونة" (حكمـة ١: ٧) ويقول الرسول إن هذا الملء وُهِبَ لنا بشكلٍ جديد مع تجديد الخليقـة، فقـال عـن الكنيسة جسد المسيح: "ملء الذي يملأ الكلَّ في الكل" (أف ١: ٢٣) وقال أيضاً: "وأنتم مملؤون فيه" (كو ٢: ١٠). فما هو الملء الذي أخبر عنه الحكيم وبشَّرنا به الإنجيلي "مملوء نعمة وحقاً" (يوحنا ١: ١٤) وأكَّده الرسول في التعليم الرسولي؟ والجواب من كلمـات الرسول نفسه: "حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩)، فقد جاء الرب يسوع بكل ملء خيرات وهبات اللاهوت، جاء من عند الآب دون أن ينفصل عـن الآب، ووُلِدَ بالروح القدس من والدة الإله، فجاء بشركة الروح القدس الذي أعطاه لنـا في ميلاده ومعموديته وصلبه وقيامته وصعوده؛ "لكي يملأ الكل" (أف ٤: ١٠). وعند انتصار الرب وغلبته يقول: "سبى سبياً"، فقد "سبى الجحيم، وأعطى عطايا للناس" (راجع أف ٤: ٨)، أي أجلسنا معه في السموات، وبذلك تمَّت بشارة الإنجيل "الذي على الكل، وهو

الآب، وبالكل وهو الابن، وفي الكل أي الروح القدس، إله واحد" (أف ٤: ٦).

الملء – أيها الأخوة الأحباء – هو الشركة في الطبيعة الإلهية، فهـي المـلء، وهي كل شيء، ولذلك وَهَبَ لكل المؤمنين هذه الشركة. ولأن الداخلين إلى نعمـة ربنا يسوع المسيح هم "كثيرون"، صار ملء البشر في شركة مع ملء اللاهوت. وملء اللاهوت لا يُعطى لفردٍ واحدٍ بعينه، ولا يُعطى لفردٍ منفصلٍ بعيدٍ عن الشركة، فهـذا ضد تدبير تجسد الابن الذي جاء لكي "يجمع المتفـرقين إلى واحـد" (يوحنـا ١١: ٥٢). وعندما صار بكراً بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩)، فقد سكن وحلَّ فيه الروح القـدس كإبن الإنسان حلولاً دائماً أبدياً لا انفصال فيه، وحتى في ساعة الموت قـال بصـوت عالٍ مؤكداً قوته: "يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لـو ٢٣: ٤٦)؛ لأنـه كذبيحـة وكاهن كان ميتاً وحياً، جذب إليه الموت طواعيةً وأسره وأباده على الصليب، وبذلك أباد الإنفصال تماماً، وأَسَرَ الجحيمَ، وأبطل عز الموت، أي ذاك الذي له سلطان الموت أي الشيطان – الذي ساد على الجنس البشري بسبب سقوط آدم – الـذي بسـبب الغواية والخطية نخضع له طواعيةً ونُسلِّم إليه إرادتنا.

بعد كمال التدبير - وحسب إيمان الكنيسة المقدسة - نؤمن أن اللاهـوت لم يفارق الناسوت "لحظةً واحدةً ولا طرفةَ عينٍ". هذا قيل عن البِكر وعن إخوته أيضاً؛ لأننا دخلنا إلى ميراث الرب يسوع، أي الميراث الذي كسَبَه لنا بـالتحول الكـبير في علاقة الإنسان بالله الذي تحول من تدبير الناموس والفرائض إلى شركة الطبيعة الإلهية، والذي - رغم تردد الإنسان وكسله وتوانيه وخطاياه - يظل ثابتاً باقياً دائماً أبدياً في الرأس، أي يسوع المسيح ربنا وللأعضاء؛ لأننا أعضاء جسده من لحمه وعظامه (أف ٥: ٣٠)، فكيف يغذِّي الرب جسده ويربيه (أف ٥: ٢٩)؟ وكيف يحبه وهو الـذي أسـلم نفسه لكي يطهِّر كل الأعضاء جاعلاً كل أعضاء جسده ممجدةً فيه بلا فسـاد وبـلا شيخوخة الموت؟

أول كل شيء يجب أن ننتبه إلى حقيقةٍ أبديةٍ، وهي أن قوانين الخليقـة الأولى التي ذكرها سفر الخليقة (سفر التكـوين) لا تسود على شريعة وقانون الخليقة الجديدة، بل

العكس هو الحق المسلَّم لنا بواسطة الرسل القديسين. فالخليقة الجديدة من فوق، ليست بواسطة قوانين الخليقة الأولى؛ لأن الرسول يقول عن رأس الخليقة الجديدة: "أخضع كل شيء تحت قدميه" (١ كو ١٥: ٢٧). هذا أصلاً من عبارات المزمور الثامن، وهو أصلاً عن سيادة آدم صورة الله على الخليقة الأولى، ولكن بعد سقوط آدم الأول، جاء آدم الحقيقي "الرب من السماء" (٢كو ١٥: ٤٧)، وثبَّت هذه السيادة حسب الروح، وحسب عمل شدة قوته لكي يُخضع كل الأشياء تحت سلطانه وسيادته، جاعلاً الخليقة الجديدة فيه هو، وليست حسب قوانين اللحم والدم والإرادة الإنسانية (يوحنا ١: ١٣).

ومع أننا نرى الخليقة الجديدة ناهضةً من الخليقة الأولى من الماء، ولكن بالروح. ومن زيت الزيتون، ولكن بعطور الرب (مسحة الميرون). ومن الخبز والخمر، ولكن بقوة وسلطان الذي يغذِّي ويهب الوجود والحياة للكل. إلاَّ أننا لا نفشل في أن ندرك أن الخليقة الجديدة هي من المسيح فيه حيةٌ ثابتةٌ تأخذ الوجود من الآب، والشكل الجديد من الابن، والحياة الدائمة من روح الحياة الرب المحيي: عملٌ واحدٌ للثالوث الواحد.

وتعلو الخليقة الجديدة على الخليقة الأولى **أولاً**: من حيث المصدر. **ثانياً**: من حيث الثبات. **ثالثاً**: من حيث المجد والبقاء.

فهي **أولاً**: من الله، وليست من البشر. **وثانياً**: هي من اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهذا ليس بإرادة الناس. **وثالثاً**: هي مملوءة بكل خيرات اللاهوت، وتبقى كائنة بقوة ونعمة الروح القدس. هنا اختفى العدم الذي جئنا منه، فقد صار المصدر هو اللاهوت، وأُبيد الموت، فلن نتزعزع، وأعطَى ملء الشركة، فصرنا بذلك أحياء لله في يسوع المسيح وبقوة روح الحياة.

هكذا – أيها الأخوة الأحباء – لم تعُد لقوانين الخليقة الأولى سيادة وسيطرة على الخليقة الجديدة، بل صارت السيادة للرب، والسلطان للروح القدس.

لنقترب أكثر من هذه الحقيقة الفائقة:

– كانت خلقتنا من العدم هي سبب عدم استقرارنا، ولكن الآن صار عدم استقرارنا هو الإلحاح الدائم للعودة إلى الرب مصدر الحياة والفرح الأبدي؛ لأننا ونحن في الجسد "غرباء ونزلاء"، ولكن بالروح القدس نحن في ذاك الذي أجلسنا معه السموات (أف ٢: ٦).

– وكانت صورة الله فينا تحت سيادة الإرادة الإنسانية، ولذلك تركناها وأخذنا صورة الموت، ولكن في المسيح صارت صورة المسيح فينا منه وإلينا، ولكن ثابتةٌ فيه.

– كان ميراثنا الأول هو البقاء في الشركة مع الله، وكان ضمان ذلك هو حفظ الوصية، لكن صار ميراثنا الجديد بضمانٍ جديد لا يخضع لأعمالنا؛ لأن "عطية الله بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩)، وصارت عطية الله لنا هي للخلاص الأبدي حسب بر المسيح وقدرته وأمانته، ولذلك يقول الرسول: "لأنه مهما كانت مواعيد الله، فهي فيه وهي نعم، ولذلك فيه آمين لمجد الله فينا" (٢ كو ١: ٢٠)[١].

Ⲛⲓⲱϣ ⲅⲁⲣ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲫϯ ⲉ̀ⲧⲉⲛ̀ϧⲏ ⲧϥⲟⲩⲁ̀ϩⲁ ⲡⲉ ⲉⲑⲃⲉ ⲫⲁⲓ ⲟⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲟⲧϥ ⲡⲉ ⲡⲓⲁⲙⲏⲛ ⲙ̀Ⲫϯ ⲉⲩⲱⲟⲩ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲟⲧⲉⲛ.

١٧– هذا التحول العظيم، تم بقوة ربنا وحسب قياس النعمة، وليس حسب استطاعة وتقدُّم الإنسان، بل فيه تقدَّمت الإنسانية نحو قامةٍ جديدةٍ، هي قامة المسيح (أف ٤: ١٣)، وهي ليست قامته الإنسانية؛ لأن هذه يمكن أن تقاس، كما قيل إنه كان ينمو في النعمة والقامة (لوقا ٢: ٥٢)، بل هي قامة الإنسان الكامل (الناضج ⲉⲩⲣⲱⲙⲓ - matare - ντελιας). أمَّا قياس ملء قامة المسيح، فهو القامة العليا الناضجة الكاملة غير الخاضعة لفساد الموت أو سلطان القبر أو الخطية، بل التي نالت

(١) النص القبطي أكثر وضوحاً من ترجمة بيروت لأن مواعيد الله هي فيه، وهي تقابل بكلمة نعم عند الله. والذي يختم ويقول آمين هو الرب يسوع المسيح نفسه رئيس الكهنة الذي فيه ننال المجد ليصبح مجداً لنا. هذه هي الترجمة الموسعة للنص القبطي.

المجد والقوة بسبب اتحادها بلاهوت الابن، وهو الاتحاد الذي لا يُقاس بمقاييس الخليقة الأولى القديمة التي شاخت مع شيخوخة العهد الأول، عهد موسى، والتي عـــادت إلى الحياة مع حياة العهد الأفضل، عهد ربنا يسوع المسيح.

١٨- أعود إلى سؤال محبتكم؛ لكي أقرر التعليم الرسولي الذي نعترف به، أي تعليم القيامة من الموت، وسيادة الحياة على الموت في هذا الدهر، وقيامة الأجســـاد في اليوم الأخير. فإذا كان هذا هو نصيب المؤمنين، فكيف يجوز لنا أن نضـــع القـــوانين الخاصة بالجسد: مثل الطعام والنوم وسائر حركات الجسد، كمانعٍ أو عائقٍ يحُول ويمنع سُكنى الروح القدس؟ لأن الرسول حذَّرنا من الخطية التي تحزن روح الرب: "لا تحزنوا روح الله القدوس" (أف ٤: ٣٠)، ولم يقف عند هذه العبارة، لكن – وكأنه كان يعيش زماننا – توقَّع أن توضع نعمة الله القادرة تحت سلطان الطبيعة الإنسانية، ولذلك قـــال مباشرة: "الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣٠)، فكيف يتركنا الـــروح القـــدس إن انشغلنا عنه؟ كيف يحدث هذا، وختم الله القدوس ثابت فينا؟ ويحذِّرنا الإنجيلي: "أمـــا أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء .. وتعلمون الحق وأن كل كـــذب ليس من الحق. مَن هو الكذاب إلاَّ الذي ينكر أن يسوع قد مُسِحَ بالروح القدس. هذا هو ضد الذي مُسِحَ بالروح القدس، أي المسيح الذي ينكر الآب والابن" (١ يوحنـــا ٢: ٢٠ - ٢٢).

فالحق، أي الابن يسوع الذي صار "المسيح الرب"، يشهد أن هذه المســـحة هي لنا، وأن إنكارها هو إنكارٌ لَمن أعطاها، وهو الآب، ولَمن أخذها، وهـــو الابـــن المتجسد. لذلك، فالذي ينكر هذه المسحة كذاب و"ليس فيه الحق" (١ يوحنـــا ٢: ٢١)، أي ليس فيه المسيح، وهو ليس منه؛ لأنه ينكر "مسحة القدوس" (١ يوحنـــا ٢: ٢٠)، أي مسحة يسوع الذي صار المسيح.

لقد وضع الثالوث هذا الختم علينا، وهو ما تؤكِّده صلواتنا المقدسة[١] وهـــو

---

(١) راجع صلوات مسحة الميرون: "ختمٌ لا ينحل".

ختم النور؛ لأننا كُنّا "قبلاً ظلمة، وأمَّا الآن فنورٌ في الرب" (أف ٥: ٨)؛ لذلك يحــذِّرنا الرسول: "لا تشتركوا في أعمال الظلمة" (أف ٥: ١١)، أي الأمور القبيحة التي تجعلنــا ندير ظهورنا للنور. ولكن رجاء الروح القدس لا يموت ولا يندحر، بل كمــا يقــول الرسول: "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات لكي ينير لك المسيح" (أف ٥: ١٤).

ما تزرعه الخطية في قلب الإنسان:

١٩- تجلب الخطيةُ الموتَ حسب التعليم الرسولي: "أجرة الخطية هي مــوت" (رو ٦: ٢٣)، ومع الموت يدخل احتقار الجسد؛ لأنه متغيِّرٌ وضعيف ويتقدم نحو الضعف بخطوات ثابتة؛ لأنه يشيخ. ولكن احتقار الجسد بسبب محبتنا لله، ليس مثــل احتقــار الجسد بسبب الموت والشيخوخة؛ لأن المحبة لا تزرع الاحتقار، بل الشــفقة والحنــان والثبات في محبتنا لكل ما خلق الله، وعدم التزعزع إذا هجم علينا الألم أو المرض، بــل قبول كل شيء بشكرٍ؛ لأننا نرى أن الله يعمل في كل الأشياء لكل الذين يحبونه[١] (رو ٨: ٢٨).

أمَّا احتقار الجسد بسبب الموت، فهو ما تفرضه علينا الخطية من انقسام؛ لأننا نحب الجسد ونكرهه؛ لأنه لا يلبي احتياجات ورغبات القلب، وهو أحد مصادر "صغر القلب"[٢] لأننا نرى أن الذين لم ينالوا قدراً من جمال الجسد، أو لهم بعض العاهــات، أو فقدوا أحد الأعضاء، يصابون بصغر القلب من آنٍ لآخر؛ لأنهم مثل غيرهــم مــن

---

(١) حسب قراءة الأب صفرونيوس لنص العهد الجديد القبطي:

Ⲧⲉⲛⲥⲱⲟⲩⲛ ⲇⲉ ϫⲉ ⲛⲏ ⲉⲧⲉⲣⲁⲅⲡⲁⲛ ⲙ̀ⲫϯ ϣⲁϥⲉⲣϩⲱⲃ ⲛⲉⲙⲱⲟⲩ ϧⲉⲛ ϩⲱⲃ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲉⲑⲛⲁⲛⲉⲩ ⲛⲏⲉ ⲧⲁϥⲑⲁϩⲙⲟⲱ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲉϥϣⲟⲣⲡ ⲛ̀ⲑⲱϣ.

(٢) صغر القلب من أهم الكلمات التي وضعتها الحياة الرهبانية القبطية، ولذلك تقول صلواتنا: "عزاء صغيري القلوب .. ميناء الذين في العاصف". وصغر القلب هو احتقار الإنسان لنفسه وفقدان الشجاعة والعزم أمام المشاكل والتجارب، ولذلك يوضع في مقدمة التحليل الخاص بالإعتراف "وإن كنا قد أخطأنا إليك بشيء ... أو بصغر القلب"؛ لأن صغر القلب يدفع الإنسان إلى الخطية لكي يجد فيها تحقيق وكمال رغباته التي لا تساعده على النمو، بل تعرقل تقدمه النفسي والروحي.

الخطاة يتّكلون على الجسد، وعلى شكله الخارجي غير مميِّزين الشكل الحقيقي الداخلي للجسد، أي صورته الممجدة التي تُوهب لنا في المعمودية والمسحة الإلهية، وتطالعنا في صلوات الخدم الكنسية.

وتضع الخطية فينا الشعور "بالقرف" والامتعاض من الجسد، بل ويظهر الخجل الذي ظهر في سفر الخليقة (التكوين) عندما غطَّى آدم جسده؛ لأن الخجل من بقايا خطية آدم. أمَّا الذين صارت فيهم نقاوة المسيح، فهم لا يخجلون من أجسادهم، ولا يحتقرونها ولا يعظمونها، بل يقبلونها كوجه منظور للروح، ومكان مؤقت للسكنى في الخليقة الأولى، عالمين أن لهم مكاناً أعظم في الخليقة الجديدة، يشاهدونه بكل وضوح في الرب يسوع المسيح نفسه الذي هو البِكر من الأموات، والذي سبقنا في كل شيء لكي يتقدَّمَنَا كرأسٍ منه تنال كل الأعضاء المسحة حسب كلمات المزمور (١٣٣: ٣) لأنه **في جسد الربِ، أي الكنيسة** "هناك أمر الرب بالبركة".

اغتراب الجسد عن الروح الإنسانية:

٢٠- تجلب الخطيةُ الانقسامَ في رؤية الإنسان، وتجعل إحساس الإنسان منقسم وموزَّع، وهذا من علامات الموت؛ لأن الخطية تحوُّل الجسد إلى شيء آخر نظن أن فيه كمال الوجود وغاية الحياة، لكن الجسد الذي به نحاول تحقيق لذَّاتنا بريءٌ تماماً، ولا هو كيانٌ آخر غير كياننا، ولكن الشهوة تعمي العينين، وتجعلنا نُعامل أجسادنا كما لو كانت شيئاً آخر غير كياننا. هكذا يغترب الجسد عن فكر الإنسان وإرادته ومشاعره لكي يصبح شيئاً أو وسيلةً نريد منها أن نشبع وأن نصل إلى هدفٍ، هو اللذة.

٢١- وعندما نشعر بأن أجسادنا غريبةٌ عنّا، فهذا الشعور يؤدِّي بنا أحياناً إلى "صِغر القلب" والإحساس بتفاهة الحياة. ليس هذا هو تواضع الروح؛ لأن تواضع الروح لا يُولد من الشعور بتفاهة وتُرابية الوجود، وإنما عندما تشرق محبة الله في القلب ويعرف الإنسان محبة خالقه ويستنير بمعرفة تواضع الروح القدس، فإن التواضع الحقيقي

يسكن في القلب مدى الحياة. كأن إنساناً فقيراً دخل قصر ملك عظيم ورأى مجد الملك، فأدرك فقره وعجزه، مثل هذا الإنسان لا يفارقه الشعور بفقره طالما هو حي.

٢٢- أمَّا ذِكر خطايانا، فهو يجلب التوبة ولا يجلب التواضع، والاعتراف بخطايانا في صلوات الكنيسة هو اعترافٌ بأن خادم الأسرار هو رئيس الكهنة ربنا يسوع وأن القوة العاملة هي قوة الروح القدس.

خاتمة:

لقد كتبت في إيجاز شديد، وكتاب الأب ديونيسيوس[١] عن الروح القدس هو أعظم بكثير مما ذكرت، لكنني ذكرت لكم التعليم السليم الذي يمكن اختصاره في سطر واحد من أجل منفعة الذين لا يقرأون، وهو أن الرب محبُ الخطاة، وأننا نؤكد هذه الحقيقة عندما نقول في كل صلواتنا: "يا محب البشر"، وهو الاسم الذي نفضِّله؛ لأن الله لا يذكر خطايانا، بل يذكر خلقتنا كبشر، ولذلك نقول: "فإنه ليس أحدٌ طاهراً وبلا دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض ...".

أرجو لكم بركة هذه الأيام المقدسة التي تقدَّست بآلام الرب وموته المحيي وقيامته وحلول روح التعزية والسلام، الروح القدس.

وعندما نحتفل بعيد العنصرة ونجلب معنا ثمار الأرض، فإننا نعترف علناً بأن ثمار الحياة التي يغذِّيها روح الحياة الروح القدس الرب المحيي، إنما تقدَّم له بواسطتنا شهادةُ على أنه ردَّ لنا صورة المُلك الذي أضاعه آدم بالخطية، وأنه ردَّنا إلى رتبتنا الأولى، لذلك نحن نزرع الأرض بفرح ونعمل بكل جهد جسداني؛ لأن اللعنة الأولى قد مضت. وإن كانت الأرض لا تزال تنبت الأشواك، فأنها هي بذاتها التي تقدِّم الخبز والخمر؛ لأن الحياة الجديدة زرعٌ في داخل الحياة الأولى إلى أن يأتي يوم الإنعتاق

---

(١) وصلنا منه ثلاثة أجزاء فقط، وسوف ننشره في الوقت المناسب.

و"يُبتلع المائت من الحياة" (٢ كو ٥: ٣).

وما يحدث في الخليقة نراه أيضاً في أجسادنا؛ لأننا مُسحنا روحياً في "الإنسان الباطن" بالروح القدس، ومُسحنا أيضاً جسدياً بمسحة الميرون على أعضـــاء الجســـد، مسحة الروح القدس، ومع ذلك، فإننا نتألم ونعاني ضعفات الجسد إلى أن نُعتق مـــن عبودية فساد الخليقة الأولى بواسطة روح الحياة الذي زَرَعَ فينا "حياة يسوع" لكـــي نعود اليه في مجد قيامته.

أطلب بركة صلواتكم عني.

الأخ روفائيل سوف يحمل معه نسخة من كتاب الأب ديونيســـيوس لكـــي تُدرس في أيام العنصرة.

سلام ومحبة ربنا يسوع وشركة الروح القدس تثبِّتنا في مجـــد بنوتنـــا لـــلآب السماوي إلى الأبد.